IJA # 2258

[Book Section - Arabic]

الاستعمار وتدعيم الاستقلال الوطني ، يمكن أن يتم دون الاعتماد على الأحزاب الشيوعية المحلية »[٧٠] .

وعلى الرغم من تصريحات المسؤ ولين عن حزب البعث العربي الاشتراكي تلك ، الآن أجهزة الإعلام في عدد من الدول الشيوعية ، وصحافة الأحزاب الشيوعية في الأقطار الأوروبية والمنظمات المتعاونة والمتعاطفة معها ، راحت تشن حملة دعائية ظالمة ضد الثورة ، منطلقة بالأساس من موقف الحزب الشيوعي العراقي ، ومعتمدة على مبرراته ، ومستجيبة لضغطه ، ورغم أن الأحزاب الشيوعية في منظومة الدول الاشتراكية ، اتخذت موقفاً محدوداً في حملتها ، بالقياس إلى باقي الأحزاب الشيوعية الأوروبية ، واستهدفت تجنب تأزم علاقتها بشكل حاد مع السلطة الجديدة في القطر ، واحتفظت وكالات الأنباء في بعض الدول الاشتراكية ، في الأيام الأولى للثورة ، بالأخبار المشوهة التي أرسلت إليها من الشيوعيين ، في الارشيفات ، إلا أنها بوجه عام ساهمت في الحملة المناوئة تجاه الثورة أيضاً .

كانت هذه الحملة ، نتيجة سوء فهم وقع فيه بعض الأحزاب الشيوعية في العالم تجاه الثورة ومبادئها ، خصوصاً الأحزاب الشيوعية التي تسير هي والحزب الشيوعي العراقي في خط فكري واحد عالمياً . وقد اعترف بذلك عدد من قياديي الحزب الشيوعي وكوادره . فقد قال ابراهيم كبه ، الماركسي المعروف واحد الوزراء في عهد ثورة ١٤ تموز :

« لتقدير الحملة ، يجب تقدير مبادىء الثورة المحمول عليها . . ان مبادىء الثورة تتضمن أهدافاً اساسية يمكن ـ دون أدنى شك ـ اعتبارها حصيلة أماني الشعب والشعوب العربية طيلة أحقاب طويلة . . . »

« ومن هنا ان كل حملة ضد أهداف هذه الثورة لا مبرر لها إطلاقاً بل وتعتبر حملة ظالمة ، تسيء فعلاً إلى علاقات الصداقة بين الأمة العربية والشعب السوفياتي والشعوب الاشتراكية . . » .

وتحدث عصام القاضي ـ سكرتير لجنة منطقة بغداد للحزب الشيوعي العراقي ـ فقال :

---

(٧٠) جريدة « الجماهير » ـ ١٤/٤/١٩٦٣ .

« فهذه الدول وإذاعاتها ـ أي الدول الاشتراكية ـ أخذت تهاجم ثورتنا التقدمية ، وتؤلّب عليها الأحقاد بلا مبرر . . »

وقال بديع عمر نظمي ـ عضو مكتب تثقيف لجنة منطقة بغداد للحزب :

« ان الحملات التشهيرية التي تبثها أجهزة الإذاعة والدعاية لدول الكتلة السوفياتية ، قائمة على كذب صرف ، وإنها تختلق حوادث ، فهي حملة لا تنهض على أساس واقعي ، وتلحق أفدح الأضرار بمصالح الشعب العراقي المتمثلة في مضاء حكومته الوطنية الثورية نحو تحقيق برنامجها الإصلاحي التقدمي والاشتراكية . فالضرورة الوطنية والقومية تقضي بأن تسير حكومتنا بدون عوائق وبدون مشاكل ومتاعب ولذلك كان الهدف الأول لتلك الحملة ، هو عرقلة هذه المسيرة . إنها ايضاً تضر بمصالح الاتحاد السوفياتي نفسه ، وتشوه سمعته في العراق ، هذه السمعة التي كانت نتيجة قيام علاقات الود والصداقة بينه وبين الجمهورية العراقية . . » .

وقال شريف الشيخ ـ عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي :

« إن مقاومة أية ثورة وطنية أو أي حكم وطني بشن الحملات عليه ، او محاولة إضعافه أو تخريب مساعيه او الحيلولة بينه وبين أن يصفي التركة الثقيلة السيئة التي خلفتها عشرات السنين ، ولا سيما الدكتاتورية التي أثقلنا بها الاستعمار والرجعية ، وليس من شك أن الكفاح ضد الاستعمار هو الذي يخدم الشعب . . ولكن الكفاح ضد الشعب ومصلحة الشعب . . من عسى أن يخدم ؟ .

انه لا يخدم إلا أعداء الشعب ، وبات لا يجدي الدول الاشتراكية ـ بأي شكل من الأشكال ـ إمعانها بمعاداة الحكم الوطني القائم في العراق . هذا الحكم الذي حرر الشعب من الدكتاتورية والرجعية ، ووقف بحزم في وجه الاستعمار وكل أعداء الشعب » .

« إن التقاليد الدبلوماسية والأعراف والعادات ، لا تسمح ، في الحقيقة ، بتدخل أي دولة في الشؤ ون الداخلية لشعب آخر في بلد آخر ، ولا سيما اذا كان هذا البلد متحرراً من الاستعمار ، وينشد صداقة البلدان على أساس احترام استقلاله وشخصيته ومصالحه ، وعدم التدخل فيما له من شؤ ون ، وعلى أساس التكافؤ في العلاقات والصداقة المستقيمة النظيفة . . »

٣ ـ ثورة رمضان ثورة حياة رغم انتكاستها وردة تشرين السوداء

مثلما حظيت ثورة رمضان عام ١٩٦٣ بتأييد ومساندة ودعم الجماهير الشعبية التي وجدت في ثورتها القومية التقدمية حلمها الذي تحقق ، وآمنت بأهدافها . واندفعت في العمل الجاد لتحقيق منهاجها المرحلي ، فإنها مرت بظروف صعبة ، وواجهت قوى مختلفة ، تنادت لمناهضتها .

فهناك الشيوعيون الذين راحوا في الداخل والخارج . يتقولون عليها الأباطيل ويشوهون حقيقتها ويشككون في مسيرتها ويبذلون كل ما في طاقتهم لشل تحركها ، بهدف إجهاضها .

وهناك حلفاء الشيوعيين الانفصاليون الذين واصلوا مواقفهم الشوفينية المعادية للوحدة الوطنية ، من أجل النيل من الثورة وإضعافها وتمكين أعدائها منها .

ثم كانت قوى الردة التي تظاهرت ، في البداية ، بالتعاون مع الثورة المباركة ولكنها عادت فارتدت عن أهدافها لضرب القوة القائدة لها ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ الذي كان في نظر هذه القوى السوداء العقبة في طريق ردتهم ، حتى لا يكشف عن ارتباطاتها بالمخططات الاستعمارية والرجعية .

وواجهت الثورة كذلك أعداء الشعب التقليديين ، من مستعمرين وعملاء وبقايا الطبقات المخلوعة .

لقد اقترف الحزب الشيوعي العراقي خطأ جسيماً حين قوّم ثورة رمضان بدافع حقد قيادته على مجموع القوى القومية الوحدوية ، تقويما ظالماً بعيداً كل البعد عن الموضوعية ، فكان بيانا قيادة الحزب الشيوعي للتصدي للثورة منذ ساعاتها الأولى دفاعاً عن حكم قاسم وشهر الشيوعيين السلاح بوجهها والاستنجاد بالأممية الشيوعية للوقوف إلى جانبهم ، وهم غارقون في حمأة أخطائهم قد وضع الحزب الشيوعي في صف تلك القوى الرجعية التي جمعت بينها معاداة الثورة لعرقلة مسيرتها ، والعمل على إضعافها حتى تنقض عليها مع القوى العميلة في ردة تشرين السوداء .

ففي الوقت الذي كان الانتهازيون والرجعيون والعملاء يخططون للانقضاض على

ثورة رمضان ، من الداخل ، خدمة لأسيادهم المستعمرين ، كان الشيوعيون يثيرون المتاعب للثورة من خلال مواصلة تشهيرهم بها ، وطعنهم إياها . والتحرك ضدها ، والتحالف مع بعض أعدائها ، رغم انهيار حزبهم واحتضاره ، وبذلك وضع الشيوعيون أنفسهم ـ على علم منهم او دون علم ـ في خدمة القوى الرجعية والانتهازية والعميلة ليجدوا لهم مكاناً في الحكم التشريني الأسود .

تلك هي باختصار ، العوامل الذاتية والموضوعية التي مهدت لأعداء الثورة العربية وحزبها القائد ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، للقيام بردتهم التشرينية الخرقاء التي كانت صفحة سوداء في العهد العارفي الدكتاتوري الرجعي « اذ كرس الحكم التشريني كل جهوده لتصفية حزب الثورة العربية ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، وصب حقده الاسود عليه ، ومارس ضد مناضليه أبشع صنوف الاضطهاد والتجريح والتشهير . وكان من الطبيعي أن تهلل لتلك السياسة المشبوهة جميع القوى الرجعية والاستعمارية وكل الفصائل الحاقدة ، والمنتفعة من ضرب حركتنا الثورية ، التي كانت تنظر إلى محاولات التصفية التي يمارسها الحكم التشريني العميل ضد حزبنا ـ البعث ـ متنفساً لهم للنمو على حسابه في الفراغ الذي سيتركه في صفوف الجماهير . . . ولم يدر في خلد تلك القوى أن تصفية حزبنا ـ البعث ـ الثوري ، من شأنه أن يعود بالأضرار عليها وعلى مجموع الحركة الشعبية وان بزواله من ساحة التأثير تزول أكبر ضمانات العمل الوطني في العراق »[٨٦] .

فعلى نقيض الموقف العدائي الذي اتخذه الحزب الشيوعي من ثورة رمضان ، وقف إلى جانب الحكم التشريني ، الدكتاتوري الرجعي ، وقوم بسرعة فائقة التنظيم الكارتوني الذي أقامه باسم «الاتحاد الاشتراكي» فاتخذ إزاءه موقفاً إيجابياً وذكر أن الموقف الايجابي الذي يتخذه حزبنا ـ الشيوعي ـ من الاتحاد الاشتراكي العربي ، هو في الجوهر مستمد من الأفكار التقدمية التي يعتنقها أو يدعو إليها العناصر التقدمية في هذه المنظمة ، وكذلك من أفق التحولات الممكنة في تركيب قيادته وفي نهجه اللاحق . . . إن حزبنا ـ الشيوعي ـ لن يتخذ من هذا التنظيم موقفاً انعزالياً . بل بالعكس ، سيتخذ منه موقفاً ايجابياً ويرسم التدابير الضرورية للتعاون معه بهدف السعي لتعزيز الجانب التقدمي في سياسته ، وتطوير ايديولوجيته »[٨٧] .

---

(٨٦) من خطاب الرئيس القائد احمد حسن البكر بمناسبة الذكرى الثانية لثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ .

(٨٧) من تقرير الاجتماع الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي آب ١٩٦٤ ص ص ٣٢ ـ ٣٣ .